الاسلام والعولمة والشباب

د. لاهاي عبد الحسين
كلية الاداب / جامعة بغداد

نحاول هنا تطوير مناقشة نظرية للعلاقة بين الاسلام والعولمة ، وما لذلك من صلة بالشباب كشريحة اجتماعية ذات اهمية فردية وأسرية ووطنية . ونعني في هذه الدراسة بصورة خاصة بتعقب تنامي الاهتمام بدور الاسلام في زمن العولمة وما للشباب من صلة حيوية في القضايا السياسية والامنية والاقتصادية والثقافية .

العولمة :

تقدمت العولمة في اقتحامها التدريجي لعالمنا المعاصر من مستوى الظاهرة الاجتماعية التي تمثل نتيجة من نتائج نظام ما ،الى مستوى النظام الذي يستند الى عدد من المرتكزات الاساسية، السياسية والثقافية والاقتصادية والقانونية وغيرها[١] وقد عرفت العولمة بالصلة العفوية التي تربطها بالامبريالية الرأسمالية. فقد حملت العولمة خصائص النظام الرأسمالي منذ انتشارها والترويج لها في سبعينات القرن الماضي .اما اليوم مطلع القرن الحالي ، فقد حققت العولمة حضوراً يؤهلها للتقدم على انها نظام قائم بذاته ، يتمتع بالقدرة على النمو والتكامل في اطار النظام الرأسمالي العالمي وأسسه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والقانونية ، التي تعبر عنه .

تعود الجذور النظرية للعولمة الى التحليلات التي وضعها المفكرون الغربيون من امثال كارل ماركس ، بشأن تطور النظام الرأسمالي عبر مراحل

زمنية متعاقبة[٢] . والظاهر ان هناك قبولاً متزايداً لتلك التحليلات التنبؤية . فالكثير ينظرون اليوم الى العولمة على انها صفحة متقدمة من صفحات الرأسمالية العالمية التي خرجت عن حدود البلد الواحد الى مجموعة اوسع من البلدان التي تشكل اقليماً او منطقة جغرافية معينة ومن ثم الى العالم او الكرة الارضية برمتها. وادى هذا الى نقل ميدان الصراع بين الاغنياء والفقراء من مستوى المجتمع الواحد الى العالم ككل . فقد وصفت الحربين العالميتين الاولى والثانية على انهما تعبير عن الازمة العامة للنظام الرأسمالي العالمي والتي تمخضت عن صراع حاد بين القوى الامبريالية المتحكمة آنذاك للسيطرة على موارد العالم .وكانت الحرب العالمية بالذات ، من البداية الى النهاية ، حرباً مهدت الطريق لغرض الهيمنة الاستعمارية على بلدان عديدة سميت فيما بعد ،بلدان العالم الثالث او البلدان المتخلفة او البلدان النامية ... الخ[٣] وقد تراكمت مثل هذه التفسيرات حتى جاءت نظرية نظام العالم (World System Theory)[٤] . وكانت تلك النظرية قد توقعت خروج حدة الصراع الذي تتحكم فيه المصالح الاقتصادية والسياسية للقوتين العظميين ، الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي ، الى مناطق اخرى في العالم وبخاصة بلدان العالم الثالث . طرحت نظرية نظام العالم على مائدة الجدل والنقاش فكرة ان التوسع الغربي الرأسمالي ، الذي جاء نتيجة الهيمنة العلمية والتقنية العسكرية على العالم لم يمض بلا مقاومة .بل ان ابرز ما ميز مسيرة القرن العشرين ، الذي حفل بتغيرات سياسية واجتماعية وجغرافية كبيرة ، كان ثورات البلدان الفقيرة او ما سمي آنذاك بدول الاطراف (Periphery) ضد دول المركز (Core) . ولم يتريث بعض المنظرين المعروفين بتعاطفهم مع البلدان النامية من امثال عمانوئيل والرشتاين طويلاً ، فكان ان تنبأ هؤلاء في ان دول الاطراف التي تمثلت بحركات التحرر الوطني والقومي في خمسينات وستينات القرن العشرين انما هي بداية التحول باتجاه عالم يسوده نظام اشتراكي عالمي (World Socialist System) يتسم بالعدل

والمساواة . وان هذه التحولات انما هي بداية النهاية للرأسمالية الغربية المتغطرسة والموغلة ايما ايغال في استغلال طاقات وثراوت الشعوب والدول الفقيرة ، من زراعية ومعدنية وبشرية . استندت فكرة والرشتاين هذه الى احدى تنبؤات كارل ماركس المعروفة من ان الصراع الطبقي الذي يطبع مرحلة تاريخية محددة سرعان ما ينعكس بضلاله على طبيعة ما سيجري من تطور في المرحلة اللاحقة .

في ضوء ما جرى ويجري في العالم ، منذ طلعت علينا نظرية نظام العالم، وفي ضوء التغيرات الكبيرة التي حصلت في العالم منذ ذلك الحين حتى الوقت الحاضر ، ابتدأ من سقوط جدار برلين وتوحيد الالمانيتين وانهيار الاتحاد السوفيتي وظهور منظومة فعالة من الدول الجديدة التي لم يكن بعضها معروفاً من ذي قبل اضافة الى ان التغيرات التي حصلت على صعيد النظرة الى الدور الذي تقوم به الامم المتحدة والمنظمات الدولية الاقليمية فانه يمكن القول بان تلك النظرية لم تصدق الا في جانب واحد فقط ،وهو الذي ارتبط في تحليلاتها وتفسيراتها بعولمية التغيير الذي يأخذ مكانه بقوة في عالم اليوم . فقد كان من بين ابرز ما اكدت عليه نظرية نظام العالم ،التأكيد على ان التغيرات الاجتماعية التي سيشهدها العالم في المستقبل انما هي تغيرات ذات سمة عولمية .فهذا النوع من التغير لم يعد مقتصراً على بلدان معينة تستجيب بطريقة محلية وذاتية لمؤثرات داخلية او خارجية يستهدف بنائاتها وتشكيلاتها المتوارثة . بل انه من نوع التغير الذي يضطرها الى قدر من الاستجابة للانفتاح والتعامل على نحو اوسع باطراف دولية عديدة .

تعرضت نظرية نظام العالم الى انتقادات مختلفة ، مما فتح الطريق لولادة نظرية جديدة عرفت بنظرية التبعية او نظرية الاعتماد (Dependency Theory) التي ساهم بوضعها عدد من طلبة والرشتاين ، وابرزهم فرانك اندرو الذي ينحدر من اصل امريكي لاتيني . وخلصت نظرية

التبعية ، من بين ما خلصت اليه ، الى نتيجة وصفت بالسوداوية وتقوم على فكرة ان الدول النامية، او دول الاطراف، ستبقى تدور في فلك البلدان الصناعية المتقدمة او دول المركز. بسبب ذلك، فأن هذه البلدان ستظل غير قادرة على تحقيق طموحاتها الوطنية والقومية، وبالتالي فان عليها ان تضع امكاناتها ومواردها في خدمة رأس المال الغربي، بأمل ان يمكنها ذلك من تحقيق بعض المكاسب الهامشية .وقد الهمت نظرية التبعية عدداً من المنظرين ومنهم منظرين عرب ومسلمين .

وصف سمير امين العولمة(٥) على انها امتداد للرأسمالية العالمية وانها لا تزيد على ان تكون جرعة جديدة تعطيهم لتقويتها ودفعها بأتجاه تأمين المزيد من الارباح التي هي الهدف المستحوذ على الاهتمام الكلي للرأسمالية. وتسعى العولمة من هذا المنظار ، الى اضعاف الاطر الوطنية والقومية وذلك عن طريق تقويض دور الدولة والتشجيع بدلاً من ذلك على الاندماج في اطر اقليمية ودولية، ليس من اجل اقامة عالم موحد خالي من الفوارق الطبقية ، وانما عالم تتسع فيه المساحة للقوى الرأسمالية ، لكي تتحكم وتمارس ما ترغب فيه وتشاء بحرية اكبر ،مع التسليم في ان ذلك يحدث على حساب مصالح قطاعات اوسع من الجماعات والاطراف ذات العلاقة . يلاحظ في هذا المجال ان العولمة اليوم تعني باهداف اقتصادية في المقام الاول ،ولكنها تستخدم خطاباً يستند الى مبادئ فلسفية اجتماعية وسياسية تقوم على مفاهيم الحرية الفردية والديمقراطية السياسية والانفتاح الاقتصادي مما يوفر لها غطاءاً جذاباً بنظر العديدين .

ويؤكد آخرون(٦) على ان العولمة ، وبقدر تعلق الامر بالبلدان النامية وعلى الاخص منها البلدان العربية ،لا تعدو ان تكون صورة جديدة للظاهرة الاستعمارية القديمة التي تعود الى بدايات القرن الثامن عشر والتي استمرت لاكثر من قرنين من الزمان . وكانت تلك المرحلة قد شهدت امعاناً في اضطهاد الشعوب والتمادي في الاعتداء على حريتها ونهب خيراتها ومواردها .ويعطي

البعض للعولمة معاني حيادية تنطوي على الاعتقاد في انها تشير الى التداخل الواضح لامور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك مما يتجاوز الحدود السياسية للدول ولا يعني بامر السيادة او الانتماء الوطني ذي العلاقة باجراءات حكومية محددة[٧] . وفي هذا الاتجاه يؤكد جلال امين[٨] على ان العولمة بشكلها المجرد تستند الى فكرة تضاؤل المسافات والفوارق بين الشعوب والمجتمعات سواء على صعيد السلع والخدمات او انتقال العمالة ورأس المال والافكار وانماط القيم والسلوك الاجتماعي . ويردف قائلاً ان العولمة من حيث الاساس هي " عولمة القهر " وهي العولمة التي يهيمن فيها القوي على الضعيف والتي تختلف بالاشكال والصيغ تبعاً للظروف التي تواجهها .

في تصوره للعولمة يقول د. صادق جلال العظم[٩] ان وصف الامبريالية بانها اعلى مراحل الرأسمالية هو تشخيص خاطئ وتنبؤ سابق لاوانه . فمن الواضح ان " عالمية التبادل والاستخراج ليست اعلى مراحل الرأسمالية بالفعل ، وان النقلة المنطوية على عولمة دائرة الانتاج اخذت تشكل في هذا الوقت مرحلة اعلى منها واهم هي مرحلة العولمة " . ويستكمل ان العولمة اليوم تجمع ، الرأسمال الصناعي – الانتاجي ، والرأسمال المالي – الاستخراجي والرأسمال البضاعي – التجاري في آن واحد ، وان هذا يعتبر اكثر تعقيداً بكثير من المرحلة الامبريالية الكلاسكية " . ويتابع العظم ، في ان نظرية التبعية وضعت تحليلات جيدة جداً للعلاقة بين دول المركز ودول الاطراف ، الى ان ما يؤخذ عليها افراطها في التشاؤم واعتقادها في " نمو التخلف " (Development of Underdevelopment) في مقابل نمو التقدم وتطوره في دول المركز . وهذا ما يجعل من التنمية في دول الاطراف مهمة مستحيلة . وركزت نظرية التبعية كذلك على التطور الافقي للنظام الرأسمالي ولم تهتم بتغلغله في مختلف الاتجاهات والابعاد والتشابكات على صعيد العلاقات الاجتماعية والوظائف الرئيسية ذات العلاقة . في محاولة لتجاوز الاشكالات الفكرية في

نظرية التبعية يقترح العظم نظرة متفائلة تكتفي من حيث المبدأ ، على ما يبدو ، بفكرة التنمية المحدودة (Limited Development) ، مستلهماً في ذلك تجربة النمور الاسيوية ، ويضيف اليها احتمالات التغير التي يتوقع ان يأخذ طريقه في بلدان الاتحاد السوفيتي السابق واوربا الشرقية عموماً بالدرجة الاولى ، والصين بالدرجة الثانية. ويختتم في عرض تسميات بديلة للعولمة من قبيل " الامبريالية العليا " او " السوبر امبريالية " .

وفي ضوء المتابعة المستمرة للتطورات المتلاحقة التي تنسب الى العولمة وتفعل فعلها في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية من اقتصادية وسياسية وثقافية في عدد كبير من بلدان العالم ، يظهر لنا ان هناك ما يدعم الخلاصة التي توصل اليها منظرو التبعية بشأن " نمو التخلف " من قبل . اذ يزداد في هذا المجال عدد المنظرين والباحثين والدارسين والمهتمين الذين يتفقون – بلا سابق تخطيط او تنسيق – على ان العولمة وفي ظل هيمنة الولايات المتحدة الامريكية ، انما هي نظام القطب الواحد الذي يصعب التحكم في مساراته . فالعولمة نظام يسعى في النهاية الى توحيد وتوسيع واشباع حاجات وتلبية مصالح سكان المناطق الاكثر تقدماً في العالم ، في الوقت الذي تقوم فيه بشرذمة واضعاف وتهميش المناطق الاكثر تخلفاً في العالم .

وتتراكم يومياً الادلة الكثيرة على ان قطاعات واسعة من السكان في البلدان الصناعية المتقدمة تقطف ثمار العولمة وتنجح وتتمكن من التكيف مع التغيرات الثقافية والبنائية التي تحدثها . هذا فيما تعاني الغالبية العظمى من سكان البلدان غير المتطورة ، بصورة خاصة ،ودول الاطراف بصورة عامة ، من ارتفاع معدلات الفقر والجوع والوقوع ضحية لانخفاض مستوى نوعية الحياة وما يتبع من نتائج مأساوية(١٠) .

الجوانب الاجتماعية للعولمة :

نكاد نجزم في ان العولمة اشبعت وصفاً وتحليلاً من قبل الباحثين والدارسين والمهتمين الذين توصلوا الى انها ظاهرة اقتصادية من حيث الجوهر . وان هذه الظاهرة تميزت بتأمين مصالح الطرف الاقوى على حساب الطرف الاضعف. وكما يلاحظ في هذا المجال(١١) فان من الطبيعي ان تخدم العولمة البلدان الصناعية المتقدمة، وذلك لان هذه البلدان تمتلك مقومات التقدم الاقتصادي العولمي الذي يتمثل في القاعدة الصناعية والعلمية والمصرفية القوية التي تمكنها من المنافسة في السوق العالمية بحرية اكبر .وليس لدينا الكثير الذي نختلف حوله في هذا المجال ، سوى الرغبة في لفت الانتباه الى ان للعولمة جوانب اجتماعية لا تقل اهمية عن الجوانب الاقتصادية ذات الابعاد السياسية . وتتمثل الجوانب الاجتماعية في مختلف الجماعات والاشخاص الذين لا يستجيبون للعولمة وتأثيراتها بل يتخذون موقفاً سلبياً ازاءها . وان لهؤلاء الجماعات والاشخاص افكاراً واعتقادات وصيغ سلوكية تؤثر قطعاً على مدى ونوعية الاستجابة التي يرونها مناسبة للعولمة ، مما يجعل منهم مصدر قوة لمجتمعاتهم وليس مصدر ضعف .ولا يمثل هؤلاء دائماً مجموعة متجانسة من حيث الاهداف والمصالح والتوجهات ، مما يجعل التفاهم بينها والانفتاح على بعضها ضرورة لابد منها ، وقد يؤدي الى تطوير استراتيجيات ذكية تضع جداً للاختراقات التي تمارسها العولمة في البناء الاجتماعي بعدم حساسية وبلا ايما اهتمام يذكر . ويقع في سياق ما هو اجتماعي حرص الناس (جماعات وافراد) على المعاني والرموز والقيم التي يضفونها على افعالهم وتفاعلاتهم وشبكة علاقاتهم الامر الذي لا تشجعه العولمة ولا تريد له ان يمارس في الحياة اليومية للناس . وفيما يتعلق بالشباب ، فان العولمة لا تريد التعامل معهم كفئة او قطاع اجتماعي حيوي ومتفاعل ،بل تريد لهذا القطاع ان يكون متلقياً وراضياً بما تميله عليه من مفاهيم وما تسربه له من عادات وممارسات سلوكية مصممة لخدمة اغراضها ومآربها .

وتفعل العولمة ذلك مستهدفة اهواء الشباب ومستغلة براءتهم وضعف خبراتهم وعدم اكتمال كفاءاتهم . ونخلص من هذا الى القول في ان التركيز على جوانب معينة في العولمة كالجوانب الاقتصادية او السياسية دون الاهتمام باثر الجوانب الاخرى وفي مقدمتها الجوانب الاجتماعية يمكن ان يؤدي الى بلورة تحليلات وتفسيرات مبتورة وغير مكتملة ،تعجز بالنتيجة عن توضيح الصورة بابعادها المتعددة والمتباينة.

الاسلام والعولمة :

يعتبر الدين الاسلامي احد اهم عناصر العملية الاجتماعية في المجتمعات العربية والاسلامية . وفي مجال علم الاجتماع ،فان الدين اي دين ، يكتسب اهمية كبيرة من حيث المبدأ(١٢) . فالدين شأنه شأن الاسرة والمؤسسات الاجتماعية الاخرى يلعب دوراً مهماً في مسيرة الشعوب والمجتمعات على اختلافها .وقد عرف الدين على انه مؤسسة اجتماعية تشتمل على مجموعة من المعتقدات المحددة والطقوس التي تماس جماعياً(١٣) . وتوصف العلاقة عادةً بين نظام المعتقدات والطقوس الجماعية بانها عضوية . فلا يمكن للمعتقدات ان تحقق هدفها في التأثير على سلوك ومواقف الاشخاص دون ان تدعم بالاثر الذي تحدثه عملية ممارسة الطقوس الدينية واداءها بصورة منتظمة مع الجماعة . ويؤدي الدين عدداً من الوظائف الاجتماعية الهامة. فقد كان الدين الاسلامي مثلاً ،عاملاً من عوامل التشجيع على الثورة ضد الظلم والاضطهاد كما حدث في صدر الرسالة الاسلامية عندما ادى ظهور الاسلام الى حدوث تغيير جذري في كل مناحي الحياة، انتهى الى اقامة اركان مجتمع وتاريخ اسلامي لم يكن ليعرف من ذي قبل . ويمكن ان يكون الدين عاملاً من عوامل المحافظة على الامن والاستقرار في المجتمعات التي لا ترغب في التغيير. وتتعدد الامثلة فيما يتعلق بالادوار المتنوعة التي يمكن ان يلعبها الدين في الحياة الاجتماعية والسياسية في مختلف

المجتمعات والامم . ونخلص من هذا الى القول ان الاسلام كان ولا يزال واحداً من اكثر الاديان السماوية اهمية . فقد تجسد اثر الاسلام على حياة الملايين من البشر بصيغ عديدة. يمكن النظر الى الاهمية الاستثنائية للاسلام ، كقوة اجتماعية وسياسية مؤثرة على انها تكمن في جانبين مهمين هما الجانب الثقافي والجانب البنائي . من النواحي الثقافية ، فانه لاخلاف على ان الاسلام يعتبر مصدراً غنياً من مصادر المعرفة والفكر والثقافة وما يرتبط بذلك من طرز الحياة بمختلف اشكالها وتباياتها .وكان الاسلام المصدر الرئيس في نشوء وتطور عدد مهم من المعارف الانسانية كالفلسفة والتاريخ واللغة والتشريع والقضاء وعلم الاجتماع وعلم النفس والادب والانثروبولوجيا . من النواحي البنائية ، استطاع الاسلام اقامة نظم اسرية وسياسية واقتصادية وتعليمية وثقافية متميزة. وكان التأثير الذي احدثه الاسلام في مختلف المجتمعات والجماعات الانسانية حيوياً سواء في البدائي او النامي البسيط فيها – والمجتمع المدني المعقد– على حد سواء.

في تناولنا لاثر الاسلام ، نعيد الى التأكيد هنا وجهة النظر التي تقول اننا لا نتناوله كنظام ديني فحسب ، وانما باعتباره نظاماً حضارياً متميزاً لجماعة متميزة من الناس تتمثل فيما يتفق على تسميته بامة الاسلام في العالم. ونقر هنا، انه قد لا تتسم امة الاسلام اليوم بالتجانس والتماثل على المستويات المختلفة للحياة الاجتماعية وذلك لما لعوامل من قبيل التايخ والعرق والثقافة والموقع الجغرافي والمناخ من آثار كبيرة ،الا ان افراد وجماعات هذه الامة يلتقون في عدد من المبادئ والافكار والطقوس والممارسات التي توحدهم بدرجة كبيرة ، وهنا تكمن اهمية الاسلام لما يترتب على هذا الميل الى التوحد والتقارب من نتائج مؤثرة على سلوك الجماعات والاشخاص الذين ينتمون اليه او على الجهات والاطراف الاخرى ذات العلاقة . كما ان لوضوح البناء الفكري للاسلام دور مهم في اقامة ارضية معنوية واخلاقية توفر مبررات كافية لخلق الرغبة والدافع

والامل وما اليه ، مما يجعل منه عامل مواجهة لتهديد العولمة او غيرها من القوى الفاعلة . وقد يكون لهذا السبب ان تعرض الاسلام ولازال كذلك الى مختلف حملات التهجم والتشويه والتعبير عن التوجس من الاحتمالات التي تترتب على فعله في مختلف الجوانب .

في الحقيقة ، لم يخف العديد من المنظرين والباحثين الغربيين ،ممن سبقوا العولمة او واكبوها ، مواقفهم السلبية من الاسلام . بل ان مواقف من هذا النوع صارت اشبه ما تكون بالتقليد الذي دأب عليه امثال هؤلاء . فقد وصف فوكامايا الحركات والتنظيمات الاسلامية المعاصرة، على اختلافها ، بانها مجموعة من الحركات والتنظيمات المتخلفة التي تستلهم قيم القرن السابع الميلادي وتستقطب اكثر الناس تعصباً وانغلاقاً(١٤) . واكد هنتغتون(١٥) على ان مستقبل الصراع الحضاري الذي سيكون ثقافياً في جوهره انما هو بين " الغرب والبقية " (The West and the Rest) وفي جانب مهم منه بين الغرب من جهة والاسلام من جهة اخرى . وانه حتى يتمكن الغرب من حسم الصراع لصالحه فان عليه العمل بدأب لاتخاذ ما يلزم من الاجراءات والمستلزمات لمواجهة " الخطر " الاسلامي بما في ذلك التصريح بتعزيز مقومات الوحدة داخل الغرب نفسه – اوربا وامريكا الشمالية – ومحاولة تحييد روسيا واليابان من خلال المحافظة على علاقات تعاون ايجابي ، وتقوية الوجود العسكري الغربي في دول شرق وجنوب غرب اسيا . الخ . الا ان مواقف من هذا النوع لم تمض بلا ردٍ مقابل ومن قبل المنظرين الغربيين انفسهم . يرى ليوبيك(١٦) انه على الرغم من القدرة الفذة والفائقة لمنظري عصر النهضة ومن تبعهم من المنظرين والباحثين من امثال كارل ماركس وماكس فيبر ، ممن تنبأوا بالعولمة وشخصوا الخطوط العامة الاساسية لها ، الى ان اولئك المنظرين فشلوا كما فشل تلامذتهم من بعدهم بالتنبؤ بأثر الاسلام كقوة موازية للعولمة. وبالذات ، فقد فشل المنظرون المذكورون بالتنبؤ في الاثر الذي يمكن ان تحدثه التنظيمات والحركات الثقافية والاجتماعية

الدينية في مقاومة العولمة. ويلاحظ ليوبيك ، ان هذه الحركات والتنظيمات لا تكتفي بالتعبير عن الموقف السلبي المجرد للعولمة او الافصاح عن اساليب شتى لمقاومتها ، بل انها تمضي الى ابعد من ذلك لتدعو الى حداثة مسولمة (Islamisized Modernity) ،اذا صح التعبير، او حداثة على النمط الاسلامي. وتدرك هذه التنظيمات والجماعات ان الامر لا يتعلق فقط بالجوانب العلمية والتقنية للعولمة التي يمكن الاستفادة منها وتسخيرها لخدمة اهدافها ، وانما يتعلق باستهداف الاثر الثقافي الذي تسعى العولمة الى تحقيقه . من حيث ان هذا الهدف يرمي الى زعزعة الهوية القومية والثقافية للمجتمعات والاسلامية اينما كانت . ويمكن ان نضيف هنا الى ان الدور الذي ظهر لهذه الحركات والتنظيمات هو دور مؤثر ، بسبب انه يعكس اهمية القاعدة الشعبية والجماهيرية الواسعة التي يتمتع الاسلام بها اليوم في العالم . لذلك ، فان الاستنتاج الاكثر دقة هو ان المنظرين الكلاسيكيين لم يخفقوا في تبين اثر التنظيمات والحركات الثقافية والاجتماعية الدينية الاسلامية في العالم المعاصر ، وانما اخفقوا ايضاً في تبين اثر الاسلام كنظام فكري وثقافي واجتماعي وسياسي واقتصادي . فالاسلام يعد اليوم اكثر الديانات نمواً في العالم بسبب الزيادة الطبيعية لحجم السكان الناجمة عن الاستمرار في ارتفاع معدلات الولادات في المجتمعات المسلمة ، الى جانب زيادة عدد الجماعات والاشخاص الذين يعتنقون الاسلام يومياً ايماناً بمبادئه وقيمه السمحاء . جغرافياً ، فان البلدان الاسلامية ، العربية وغير العربية ، تمتد على مساحة واسعة من سطح الكرة الارضية لتشمل عدداً من القارات الرئيسية مثل افريقيا وآسيا . وتشهد كذلك قارات اوربا واميركا الشمالية واميركا الجنوبية تزايداً في عدد الجماعات المسلمة التي تشكل مجتمعات محلية ذات نظم ثقافية واجتماعية وتوجهات سياسية متميزة . وتوجد في مجموعة البلدان المسلمة بعض اغنى الدول في العالم مثل عدد لا يستهان به من البلدان المنتجة للنفط ، العربية وغير العربية كما هو الحال في بلدان الخليج العربي والعراق وليبيا

والجزائر ونيجيريا وايران واندونيسيا . ويصل عدد المسلمين في العالم اليوم الى ما يزيد على المليار نسمة او ما يقرب من (٢٠٪) من الحجم الكلي لسكان العالم . وتأتي الاقطار العربية في منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا في المرتبة الثانية بعد افريقيا من حيث ارتفاع معدلات الولادات .ويتوقع للمنطقة العربية وحدها ان تضاعف سكانها خلال ربع قرن القادم .

الاسلام والشباب :

لاخلاف على ان الاسلام يمثل احد اكثر الاديان السماوية وضوحاً في الرؤية والموقف من عددٍ لا حصر له من القضايا ذات الاهمية الاجتماعية والثقافية والادبية الاخلاقية . ويفسر هذا اسباب الجاذبية المستمرة للاسلام من وجهة نظر العديد من المعجبين والتواقين الى معرفة المزيد عن مبادئه ومسلماته الفكرية فالاسلام يعطي الحلول الناجعة لكثير من القضايا ، ويستخدم لغة مرنة ومنفتحة على عددٍ واسع من التفسيرات والتي تشمل الكثير من المتغيرات التي تطرأ على الحياة الاجتماعية للاشخاص والجماعات المختلفة . كما الهم الاسلام عدداً كبيراً من المنظرين والباحثين والمهتمين بقضايا المرأة على سبيل المثال ، حتى ان حقل الدراسات النسوية الاسلامية صار اليوم واحداً من اغنى الحقول المعرفية والاكاديمية في معظم الجامعات في العالم . وكذا الحال فيما يتعلق بالموضوعات الاخرى ذات العلاقة بالاسرة والتفاوت الاجتماعي والحياة السياسية والنظام القضائي وما اليها بكل ما تنطوي عليه هذه الجوانب من تشابك في العلاقات والمصالح والاهتمامات والتوجهات . ومع ان موضوع الشباب دخل من وجهة النظر الاسلامية في العديد من القضايا الاجتماعية التي اولاها الاسلام الاهتمام ، الا انه افرد للشباب كقطاع متميز قدراً محدداً من النصوص والايات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة التي اهتمت بقواعد وضوابط تنظيم السلوك الاجتماعي والفردي للاشخاص والجماعات. ومما لاشك فيه فان لموقف الاسلام

من الشباب ما يبرره. فالشباب يمثلون (٦٠٪) من المجموع الكلي للسكان في الوطن العربي فيما تصل نسبة البطالة في صفوفهم الى (٤٠٪)[١٧]. وكذلك الحال تقريباً في البلدان الاسلامية الاخرى . وتساهم حقائق احصائية من هذا النوع في توضيح جسامة المهمة التي تتحملها المجتمعات الاسلامية لاعالة ورعاية وتأهيل الشباب .

الاسلام والعولمة والشباب :

في ضوء ما تقدم ، فان من الطبيعي ان يمتلك الاسلام قدرة هائلة على التأثير في الشباب وغيرهم من الشرائح والفئات الاجتماعية كالنساء . فاذا عدنا الى وجهة نظر انصار العولمة والمعولين عليها ، فان الاسلام بنظرهم يمثل التحدي الكبير والخطر المحدق . ولكن الحقيقة هي ان الاسلام لا يشكل خطراً على احد، بل هو بالنسبة للمسلمين والشباب منهم بصورة خاصة يعد صمام امان امام الموجة العاتية للعولمة التي لا تعني بالاخلاق والجوانب المعنوية ذات العلاقة بقدر ما تسعى لتحقيق اهدافها في الاستغلال والهيمنة وتطبيق منطق القوة في عالم احادي القطب .فالعولمة قوة ذات مقومات عسكرية وتكنولوجية واقتصادية تكاد تخلو تماماً من المضمون الانساني والثقافي والروحي . وبسبب ذلك ، فانها لا تحمل رسالة انسانية من اي نوع كان ، ولا حتى من باب التبرير والترويج بل تكتفي بالانشغال في الحسابات الاقتصادية والمالية دون اهتمام يذكر بما لذلك من تأثير على القوى الاجتماعية الاخرى . واذا كان للعولمة هاجساً ، فانه غالباً ما يكون من نوع الهاجس الذي يبحث عن اعداء ويترقبهم ويترصد احتمالات تحركهم . فالعولمة تستشرف آفاق الصراعات المستقبلية وتمضي لاقامة القواعد العسكرية حيثما تتوقعها ان تكون ، واحياناً ، حيثما تريد لها ان تكون . في هذا المجال ، يسلم منظرو العولمة في وجود عدد من التحديات الاخرى . ومنها ما اسماه فوكاما يا " التحديان المتبقيان" امام العولمة وهما الصحوة الدينية واستمرار

العواطف القومية(١٨). ويصف الصحوة الدينية على انها لا تعدو ان تكون "مجرد احتجاج " على الفراغ الروحي في المجتمعات الاستهلاكية فيما يزعم ببقاء العواطف القومية في العالم الثالث فقط . بخلاف ذلك ، نرى ان الصحوة الدينية في العالم اليوم اكثر من ان تكون مجرد احتجاج ، بل قد تكون تعبيراً عن حاجة جوهرية لدى الكثير من الناس الى الايمان بمثل وقيم يمكن التحلي بها والدفاع عنها بوجه ما يتعرضون له من محاولات التشويه والهيمنة وفرض مواقف وسياسات غير عادلة . وهذا ما يوفره الاسلام كنظام للفكر والثقافة والحياة الى جانب كونه ديناً سماوياً ومنبعاً للاعتقاد والايمان . من جانب اخر ، فان العواطف القومية لا توجد فقط في بلدان العالم الثالث بدليل تنامي الفجوة النفسية والاجتماعية والثقافية وتنامي الصراعات السياسية والعسكرية داخل البلدان الصناعية المتقدمة من جهة ، وبينها وبين البلدان النامية التي تنوء باعباء الديون من جهة اخرى . فالبلدان الصناعية المتقدمة تقطف ثمار العولمة بمزيد من التقدم والرفاه فيما لا تحصل البلدان الفقيرة الا على مزيد من القروض المجحفة والاعانات المهينة .

على اية حال ، قد لا يكون مجدياً ان نعطي للعولمة ظهورنا على حد تعبير الكثيرين،بل علينا ان نألف التعامل معها والاستفادة منها وبخاصة في مجال العلوم والتكنولوجيا. في الوقت نفسه، فان من الضروري ان يعمق المسلمون ، وان اختلفوا في التفاصيل والتفسيرات الفرعية والمرجعيات المعرفية، فهمهم لها، وأن يدركوا الحقيقة التي تستمد حيويتها من الاسلام كنظام قادر على وضع اسس حياة اجتماعية واقتصادية سليمة.

ان البلدان العربية والاسلامية بثقلها السكاني وطاقتها الاستهلاكية الكبيرة وحاجتها القائمة والدائمة الى التنمية انما تمثل اليوم احد اكبر مناطق الجذب اهمية للعولمة. وهذا ما يحتم ضرورة التزام الحذر الشديد والوعي العميق بشأن التعامل مع السياسات العولمية . فالعولمة تجد ضالتها المناسبة في هذه

المناطق ، وانها لابد ان تجد الذرائع لتبرير اختراقاتها الاقتصادية والسياسية بما لذلك من تداعيات اجتماعية وانسانية هامة. وهنا يبرز دور الشباب ليحتل اولوية كبرى ، اذ على وعي الشباب وسلامة مداركهم ومستوى اعدادهم ونوعية تأهيلهم تتحدد آفاق ومستقبل الامة العربية والاسلامية . في الوقت نفسه ، فان الثقة بالامكانات المادية والطاقات الكامنة يجب الا تحجب الاستعداد للتقييم الموضوعي واعمال البصيرة في عدد من المشكلات الحيوية في المجتمع العربي والاسلامي . فلا يزال معظم هذه البلدان يعاني من وجود نسب عالية من الاميين والاشخاص غير المؤهلين للعمل في بيئات متطورة . ويصح هذا بصورة خاصة على النساء اللواتي تزيد نسبة الامية في صفوفهن الى درجة كبيرة مما ينذر باعاقة النشئ الجديد على مواجهة متطلبات النجاح في عالم اليوم . وهناك ما يمكن ان يسمى بالامية التقنية ذات العلاقة بالقدرة على استخدام اجهزة الاتصال الحديثة وبرامج الحاسوب وما اليها مما لا يمكن النشء من ادارة الكثير من الاعمال بنجاح . فعلى سبيل المثال، يشكل سكان الوطن العربي المسلمون(٤,٥٪) من سكان العالم، او ما يقرب من الحجم الكلي لسكان الولايات المتحدة الامريكية ، الا ان نسبة مستخدمي الانترنيت لا تتعدى (٠,٢٪) فقط ، بينما تصل نسبتهم في الولايات المتحدة الى (٢٦٪)[١٩] .

نلاحظ في الختام ان الثروات المعدنية والنفطية والزراعية للمجتمعات العربية والاسلامية تعرضت الى السلب والنهب المباشر وغير المباشر من قبل القوى الاستعمارية في القرن الماضي ، وان ما تتعرض له هذه المجتمعات اليوم يعد اكثر خطورة مما حصل في الماضي ، فالسلب والنهب يطال اليوم الطاقات البشرية الشابة الاكثر اهمية في بناء المجتمع الانساني ،وبخاصة في عالم تلعب فيه قوى العقل والتدبير الانساني المبدع الخلاق دوراً كبيراً . ويأتي هنا دور السياسات الحكيمة التي تهتم بالحاضر وتستشرف آفاق المستقبل برؤية شاملة وحاذقة لتضع اسس حياة اجتماعية سليمة ، وفي مقدمة ذلك تأتي مسألة التعامل

الحريص والمسؤول مع الشباب. الشباب الذين يعتبرون اهم مصادر النماء القومي والازدهار الوطني اذا ما احسن توجيههم والاستفادة من امكاناتهم المتنوعة .

المصادر :

١. المسافر، محمود خالد. " العولمة والفقر في الوطن العربي "، ص٨٨-٩٨، مجلة دراسات اجتماعية الصادرة عن بيت الحكومة في بغداد ،العدد ١٣ ، السنة الرابعة ، اذار ٢٠٠٣ .

2. Mclellan , David (ed.,) Karl Marx : Selected Writings (London : Oxford University Press , 1977) .

٣. فوستر ،وليام . (ترجمة عبد الحميد الصافي) . موجز تاريخ الحركة النقابية العالمية ، ١٨٧٦ - ١٩١٤ ، الجزء الرابع ، (غير منشور) .

4. Chirot , Daniel , Social Change in the Modren Era (New York : Harcourt Brace Jovanovich , 1986).

٥. امين ، سمير . " مناخ العصر - رؤية نقدية" ، ص١٧ -٧٠ في (العولمة والتحولات المجتمعية في الوطن العربي - ندوة) ، تحرير د. عبد الباسط عبد المعطي ، (القاهرة ، مكتبة مدبولي ، ١٩٩٩) .

٦. الامام ، محمد محمود . " الظاهرة الاستعمارية الجديدة ومغزاها بالنسبة للوطن العربي " ، ص٧١ -١٠٩ في (العولمة والتحولات المجتمعية في الوطن العربي - ندوة) ، تحرير د. عبد الباسط عبد المعطي ، (القاهرة ، مكتبة مدبولي ، ١٩٩٩) .

٧. عبد الله ، اسماعيل صبري . " الكوكبة – الرأسمالية العالمية في مرحلة ما بعد الامبريالية " ، مجلة الطريق ، العدد الرابع ، ١٩٩٧ .

٨. امين ، جلال . عولمة القهر : الولايات المتحدة والعرب والمسلمون قبل وبعد احداث سبتمبر ، (القاهرة : دار الشروق ، ٢٠٠٢) .

٩. العظم ، صادق جلال . " ماهي العولمة" ، ض٥٩ –٢٠٨ في (العولمة بين الحقيقة والوهم) ، تحرير د. حسن حنفي (عمان مركز التعاون العربي للدراسات الاقتصادية ، ١٩٩٩) .

10. Lubeck , Paul , Antinomies of Islamic Movement Under Globalization.

Http : // www 2. UCSC-edu / cgirs .

١١. المدير العام لمكتب العمل العربي ،تقرير (الاقصر : منظمة العمل العربية ، ١٩٨٨) .

12. Weber, Max , The Protestant Ethic and the Spirit of Capitalism translated by Talcott Parsons (New York : Charles Scribners Sons , 1976) .

13. Macionis , John J. Society : The Basics (Fifth Edition) (New Jersey : Prentice Hall , 2000) .

١٤. مصدر سابق Lubeck .

15. Huntington, Samuel P., The Clash of Civilizations , Foreign Affairs , Summer , 1993 .

١٦. نفس المصدر .

١٧. تقرير مكتب العمل العربي ،مصدر سابق .

١٨. مصدر سابق Lubeck .

١٩. نفس المصدر .